الشباب الفلسطيني بين التفاؤل والإحباط

بقلم: د. هشام أحمد فرارجة*

2005-04-06

أياً كانت البيئة وبغض النظر عن المجتمع الذي قد يدور حوله الحديث، فإن مدى الاستقرار افضل ما يمكن التعرف عليه من خلال ما تتمتع به القطاعات الشابة من استقرار نفسي واقتصادي وثقافي وسياسي . والعلاقة الترابطية بين حجم التطور والازدهار في مجتمع ما، من ناحية، وإحساس الشباب بتوافر آفاق للمستقبل، من ناحية ثانية، امر يؤخذ دائماً بعين الاعتبار عند إعداد الخطط والاستراتيجيات لإحداث التحولات المنشودة.

وليس خافياً على أحد أن قطاعات الشباب في المجتمع الفلسطيني هي الأكثر تصدراً لمعارك شتى أصناف المعاناة والتحديات التي تتكثف في طريقها. ودون التقليل من شأن ما تواجهه كافة قطاعات المجتمع الفلسطيني الأخرى من صعوبات أصبحت تبدو وكأنها مزمنة، الا ان الشباب، بحكم تنوع تجربتهم وبسبب كونهم الأكثر احتكاكا بتفاصيل الحياة وانعكاساتها، فإنهم ايضا يظهرون كالأكثر تأثرا وتأثيرا في مجريات الحاضر والمستقبل .

واذا ما اخذنا بعين الاعتبار أن اكبر الخسائر البشرية في عملية الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، استشهادا وجرحا واعتقالا ومطاردة، قد لحقت باوساط الشباب الفلسطيني، فانه يصبح من الجائز أن نستنتج أنهم الأكثر تعرضا للألم وللإحساس بانعكاساته النفسية والجسدية.واذا ما اضفنا الى ذلك أن كماً هائلا من البرامج "التثقيفية" توجه خصيصا نحو قطاعات الشباب، بما فيها الفلسطينية، عبر العديد من الفضائيات والمؤسسات غير الحكومية والطروحات السياسية، فانه يصبح من "الطبيعي" بمكان أن يتحول الكثيرون من الشباب الى مستقبلين، أكثر منهم مرسلين، الا لاحقا محليا، لما يضخ باتجاههم من تنويع برامجي متعدد الدوافع والآثار. وفي غمرة ما تتناقله رياح العوالم السياسية والفضائية، معا، من "وجبات دسمة" تقدم للشباب، فإن التشتت الذهني وفقدان بوصلة المستقبل يصبح

أمرا لا مناص منه عند الكثيرين. بمعنى آخر، فإن تلبد الأجواء المحيطة بالكثير من المؤثرات الخارجية، خاصة أثناء اوقات الألم التي تكون فيها النفسية مهيئة للاستقبال، كما يقول علماء النفس والاجتماع، يجعل من إمكانية تعميق الإحباط واستشرائه احتمالا كبيرا . فافق سياسي مظلم، وبطالة بأرقام غير مسبوقة، علاوة على توافر وتعدد مصادر الملهيات والمشتتات عبر العديد من القنوات، لا شك يساعد في تعزيز حالة اللامبالاة والعزوف عن الاكتراث عند كمّ كبير من الشباب في فلسطين، تلك الظاهرة التي تعتبر من أكثر أعراض الإحباط حدة .

واذا ما كان من اهم نتائج الإحباط التشائم والشعور باليأس وفقدان الثقة بما يحيط من معتقدات وتركيبات اجتماعية وسياسية وثقافية، فإن الإقدام على المساهمة بزعزعة الاستقرار، وإن بدون دراية أو تفكير مع سبق الإصرار، يصبح أمرا ممكنا، إن لم تتم معالجته والعمل على استئصاله .

إن العصا السحرية اللازمة لتحويل الإحباط من مبعث للتشاؤم الى محفز للعمل نحو المستقبل تتمثل في ضرورة الموازنة بين حجم المؤثرات المحلية الوطنية وتلك القادمة من عوالم أخرى . فكلما ارتفعت نسبة المؤثرات التثقيفية المحلية الوطنية المقبولة لدى قطاعات الشباب الفلسطيني على حساب تلك التي تعبئ ما يعانون منه من فراغات نفسية وثقافية وسياسية واقتصادية، تحسنت إمكانية الخلاص من آفات الإحباط وموبقاته . أي ان تلك المؤسسات والمراكز والأندية العاملة في حقل الشباب مكلفة باعداد البرامج والخطط التي تؤصل لثقافة فلسطينية وطنية بأفق عصري، تساهم في رفع مستوى المعنويات عند ذلك القطاع الذي تحمل أكثر التضحيات، ولكن شريطة أن تكون مقبولة لديه وتنسجم مع طموحاته وتطلعاته في القرن الحادي والعشرين. فلم يعد مقبولا لدى الشباب اجترار ما لا يغني ولا يسمن من جوع، من تلك الوسائل والأدوات والأنشطة التي تجعل الأمور تراوح مكانها بالنسبة لهم .

إن الشباب هم عنوان التغيير والتحولات الإيجابية التي على كل المعنيين في المجتمع أن يلتفتوا اليها ويأخذوا بها بدراسة وتخطيط استراتيجي دقيق هادف . وأما ترك الشباب في فلسطين عرضة لكافة المؤثرات المستوردة والممزوجة والمختلطة ألوانها، إنما يمهد الطريق لأنماط سلوكية، بعضها بائنة أبعاده اليوم، وبعضها قد لا تبان تداعياته الا بشكل مباغت .

فالشباب هم الأمل، وهم التفاؤل . وحتى تتعدى هذه المقولة كونها شعارا وتصبح حقيقة دامغة، فلا بد من تضافر جميع الجهود وتكاتف كل الطاقات . فمجتمعنا الفلسطيني، بالفعل، يستحق . وأجيال المستقبل في وطننا فلسطين تستدعي منا اليقظة الآن، وليس بعد فوات الأوان .

*استاذ العلوم السياسية
في جامعة بيرزيت

See more at: http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php? -
id=10ed98fy17750415Y10ed98f#sthash.tftXjUpr.dpuf